أداة المصطلحات
عند أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن
سمات ونماذج

إعداد الدكتور

محمد بن راشد بن محمد البركة

الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة بجامعة القصيم

brkh@qu.edu.sa

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن ظاهرة ما يسمى بالقراءة المعاصرة للقرآن، وأصحابها الذين لا زالوا يقذفون بسمومهم في ساحة الثقافة الإسلامية بشتى الوسائل، لا تزال بحاجة إلى كثير من الدراسات النقدية الكاشفة عن حقيقتها وتقنياتها الظاهرة أو الخفية، وحين قمت برصد تلك الجهود النقدية المباركة في بحث سابق[1] لفت نظري من خلال العناوين فقط ذلك الحشد الهائل من المصطلحات الغريبة الغربية المأخذ، فبدا لي أحقيتها بأن تفرد ببحث خاص يستجلي شيئاً من سماتها ودلالاتها، ويكشف ما فيها من خطر كامن خفي، وهو ما حاولت الإلمام بطرف منه صغير في هذا البحث القصير .

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث من تعلقه بأداة من أخطر الأدوات التي يستعملها أصحاب الأطروحات القرائية المعاصرة للقرآن؛ لتمرير كثير من المفاهيم والأفكار المعادية لأمتنا وديننا وقرآننا، وهي (أداة المصطلحات) فاجتمع في هذا البحث خطورة الأداة (المصطلحات) وخطورة أصحابها (أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن) .

مشكلة البحث :

يقوم البحث على سؤال عريض هو : ما أبرز السمات التي تتصف بها

(١) نشر بعنوان (الجهود النقدية للقراءات المعاصرة للقرآن- رصد وتحليل) في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية بجدة، العدد (٢٧) عام ١٤٤٠هـ .

المصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن؟ وما أبرز نماذجها؟ وكيفية ارتباط تلك المصطلحات بالمفاهيم والأفكار الغربية الكامنة فيها؟

أهداف البحث :

يهدف البحث لاستجلاء أبرز السمات التي تتصف بها المصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن، وذكر أبرز نماذجها، وبيان كيفية ارتباط تلك المصطلحات بالمفاهيم والأفكار الغربية الكامنة فيها .

الدراسات السابقة :

الكتابات والبحوث المتعلقة بطرفي البحث كثيرة جداً، سواء ما يتعلق بموضوع المصطلح والمصطلحات، أو ما يتعلق بأطروحات أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن ونقدها .

لكني بعد البحث والتقصي لم أجد من أفرد مصطلحات أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن بالبحث، سوى مقال صغير بعنوان (المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة، للدكتور محمد كالو) نشر في ملتقى أهل التفسير على الشبكة، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، في أقل من ثلاث صفحات، ثم جعله كاتبه في مطلب خاص بالعنوان نفسه ضمن المبحث الأول من الفصل الأول من رسالته الدكتوراه (القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير) في صفحتين ونصف تقريباً[١] .

وهذا المقال أيضاً خاص بسمة واحدة فقط من السمات السبع التي تناولتها في بحثي هذا، عدا النماذج الخمسة عشر من المصطلحات التي سلطت الضوء عليها في المبحث الثاني من هذا البحث .

---

(١) ص٦٦- ٦٨

حدود البحث :

بالنسبة للسمات السبع في المبحث الأول لم أقتصر فيها على نوع معين من السمات، بل شملت السمات اللفظية اللغوية، والسمات الضمنية المعنوية، وأما النماذج الخمسة عشر من المصطلحات في المبحث الثاني فقد اجتهدت في اختيارها بالنظر لاعتبارين :

١ - تحقق بعض السمات المذكورة في المبحث الأول، لتكون أمثلة تطبيقية تجلِّي المقصود أكثر.

٢ - مركزية المصطلح المختار وأهميته، وكثرة تداوله عند أصحاب القراءة المعاصرة، ودلالته على فكرة محورية في أطروحاتهم .

منهج البحث وإجراءاته :

انتهج البحث المنهج الاستنباطي لأبرز السمات التي تتصف بها المصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن، وأبرز نماذجها، مستعملاً الإجراءات الثلاثية التالية:

١ - بيان المقصود بالسمة إن لم يكن ظاهراً، مع ذكر مثالين أو ثلاثة لمصطلحات تتحقق فيها تلك السمة، مجرد تعداد فقط، وترك الشرح والإيضاح للنماذج المفردة في المبحث الثاني .

٢ - محاولة التدليل على اتصاف مصطلحاتهم بتلك السمات من خلال كلام أصحابها إن تيسَّر، أو من كلام الباحثين في نقد تلك القراءات ما أمكن .

٣- لم أعمد إلى تفصيل القول في المصطلحات النماذج في المبحث الثاني، بل اقتصرت على بيان مراد أصحاب القراءة المعاصرة بها إجمالاً، ثم الإشارة إلى ما يتعلق بذلك المصطلح من سمات .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، على النحو التالي :

المقدمة : وفيها مشكلة البحث وأهدافه ومنهجه وإجراءاته وخطة البحث والدراسات السابقة

التمهيد : أهمية المصطلحات وخطورتها

المبحث الأول : أبرز سمات مصطلحات أصحاب القراءة المعاصرة، وفيه مطالب:

المطلب الأول : الغموض والضبابية

المطلب الثاني : الاستيراد والترجمة

المطلب الثالث : القطيعة والإحلال

المطلب الرابع : التوليد والتناسل

المطلب الخامس : الحداثة والتجدد

المطلب السادس : الخصوصية والفردية

المطلب السابع : المنافرة للعربية

المبحث الثاني : نماذج للمصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة، وفيه مطالب :

المطلب الأول : القراءة والتأويل وإعادة الفهم

المطلب الثاني : الهرمنيوطيقا والإبستمولوجيا

المطلب الثالث : الحداثة والمعاصرة والتجديد

المطلب الرابع : الخطاب والنص والتراث

المطلب الخامس : التاريخية والتاريخانية

المطلب السادس : الأنسنة والألسنة

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات

التمهيد

أهمية المصطلحات وخطورتها

المصطلحات جمع مصطلح، ويعرَّف لدى المختصين (الاصطلاحيين) بأنه : لفظ يضعه أهل عرف أو اختصاص معيَّن؛ ليدلَّ على معنى يتبادر إلى الذهن عند إطلاق ذلك اللفظ[١] .

ويمكن الإلماح إلى أهمية المصطلحات وخطورتها من خلال ما يلي :

أولاً : المصطلحات مفاتيح العلوم، وعن طريقها تنتقل المعارف، ويسهل ضبطها وتعلمها ودراستها، فهي كالمعيار الضابط لفهم المتلقي والقارئ لكلام المتحدث والكاتب وتجلية مقاصده .

ثانيـًا : كثرة الكتب والمؤلفات في المصطلحات العامة والخاصة في شتى العلوم والفنون، فلا يخلوا علم من العلوم من مؤلفات مفردة في بيان مصطلحات ذلك الفن، عدا ما يكون مضمَّنـًا في معظم كتب ذلك الفن، وخصوصـًا كتب الشروح والحواشي وما شابهها .

ثالثـًا : العناية الخاصة في الآونة الأخيرة بالدراسات المصطلحية، حتى ظهر في بعض الجامعات فرع معرفي خاص بدراسة المصطلح دراسة نظرية ومنهجية دقيقة، وعقدت فيه المؤتمرات والندوات المحاضرات المتخصصة[٢] .

رابعـًا : سهولة التواصل المعرفي وانتقال المعلومات في العصر الحاضر،

---

(١) انظر : المصطلحات الوافدة : ص١٨

(٢) من الجهود التي يجدر ذكرها والتنويه بها في هذا المجال ما يقوم به معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس سايس المغرب، بالتعاون مع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) التي أسسها ويشرف عليها أد.الشاهد البوشيخي، من عديد الإصدارات والمؤتمرات والملتقيات العلمية في مجال الدراسات المصطلحية الجادة .

مما يزيد في خطورة هذا الانتقال السريع للمصطلحات من ثقافة إلى أخرى ومن دوائر العلماء والمختصين إلى الفضاء العام للمثقفين والقراء والمتلقين، دون فرز أو تنقيح أو تقنين أو توجيه، مما أفرز كثيراً من التشوهات المعرفية، والخلط المقصود أو غير المقصود في كثير من المفاهيم والقضايا العلمية الخطيرة .

خامسًا : الحمولة المعرفية المكثفة المكتنزة في المصطلحات، يجعلها شبيهة بالكبسولات الدوائية المركَّزة، مما يستدعي الكثير من الحذر والحيطة في التعامل معها، وعدم أخذها أو تلقيها إلا بوصفة من أهل العلم والاختصاص؛ نظراً لخطورتها الشديدة، وآثارها المضاعفة .

سادسًا : إدراك أعداء الأمة الإسلامية لما سبق من خطورة المصطلحات وكونها سلاحًا ماضيًا في أيدي الأمم القوية في غزوها للأمم المغلوبة، والتأثير على هويتها وثقافتها الخاصة، فهي كما عبَّر كثير من الكتاب والناصحين (حرب مصطلحات)[1] ضمن جبهات حروب كثيرة، ليست بأقل خطراً منها، إن لم تكن مثلها أو أشد، فتعالت صيحاتهم في التحذير من ذلك (الغزو الفكري) المسلَّط على الأمة الإسلامية، الذي تمثل (حرب المصطلحات) إحدى أهم أدواته وأسلحته الفكرية الملغومة[2] .

***

(١) انظر في استعمال هذا المصطلح (حرب المصطلحات) : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر: ص٢٣٥- ٢٣٦ ، المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة، للدكتور محمد كالو، مقال منشور في ملتقى أهل التفسير على الشبكة، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

(٢) انظر في أهمية المصطلحات وبيان خطورتها والتحذير من حرب المصطلحات : المواضعة والاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللُّغى لبكر أبو زيد، المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية للهيثم زعفان، التقييد والإيضاح لقولهم (لا مشاحة في الاصطلاح) لأبي عبدالرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى .

المبحث الأول
أبرز سمات مصطلحات أصحاب القراءة المعاصرة

تتسم المصطلحات التي يكثر تداولها عند أصحاب القراءة المعاصرة بسمات وصفات لفظية ومعنوية لا تنفك عنها في الغالب، وقد يجتمع في المصطلح الواحد جميع تلك الصفات أو أغلبها، وقد يتصف بعضُها ببعضِها، لكن يندر عدم اتصاف شيء من تلك المصطلحات بجميع تلك السمات وخلوها منها تماماً .

ومعظم تلك السمات التي سأذكرها في المطالب التالية- إن لم يكن جميعها- سمات سلبية، وإن كانت في أحيانٍ قليلة أو نادرة يمكن اعتبارها سمات محايدة توجد في عموم المصطلحات .

المطلب الأول : الغموض والضبابية

هذه السمة تكاد تكون أبرز سمات مصطلحاتهم وأشهرها، وهي مقصد ووسيلة في الوقت ذاته، مقصد يريدون تحقيقه من وراء السمات الأخرى- كالاستيراد والترجمة، والقطيعة والإحلال، والحداثة والتجدد، والمنافرة للعربية- وهي وسيلة أيضاً بل هي من أكبر وسائلهم لتحقيق غاياتهم من استعمال تلك المصطلحات، ومن أهم تلك الغايات والأغراض ما يسمى بسلطة الغموض[1]، وهي داخلة في جملة (حرب المصطلحات) التي يقومون بها ضد الأمة وتراثها- كما سبق في التمهيد- .

وهذا الأمر ليس جديداً، بل قام به أهل الفلسفة قديماً، حين نقلوا علوم اليونان وغيرهم وأدخلوها على أهل الإسلام، كما بيَّن ذلك ابن تيمية في قوله:

---

(١) انظر : مآلات الخطاب المدني : ص٢٤٠ وما بعدها .

«ولكن هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معانٍ متعددة، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركبوها وألفوها تأليفًا طويلاً بنوا بعضه على بعض، وعظموا قولهم وهوَّلوه في نفوس مَن لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضًا لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة، فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته، فأخذ يعترض عليهم، قالوا له أنت لا تفهم هذا، وهذا لا يصلح لك، فيبقى ما في النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تسلِّم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده، وعلى ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل»[١].

ويوحي كلام ابن تيمية السابق أن الغموض الموجود أو المقصود في تلك المصطلحات الدخيلة أو المعرَّبة هو من أشد الأمور تأثيراً على كثير من القرَّاء والمتلقِّين؛ فيظهر المشاكلة وعدم الاعتراض خشية التهمة بعدم الفهم ونقص العلم والفهم[٢].

وهذه الفكرة يستعملها كثير من الكتاب للتأثير على القراء والإيحاء بعمق الأفكار التي يتناولونها، مع أن الأمر في حقيقته بعكس ذلك؛ إذ هو دليل على ضعف الكاتب وعدم وضوح الأفكار وتبلورها بشكل يساعده على التعبير عنها بسهولة وبعد عن التعقيد والغموض[٣].

الغريب في الأمر أن بعض أصحاب القراءة المعاصرة ورموزها انتقدوا ذلك أو لاحظوه على الأقل، حيث ذكر حسن حنفي وهو من رموزهم أن من أسباب فشل بعض أصحابه أو (أنصار الجديد) كما سماهم: تشدقهم بألفاظ صعبة على

(١) درء تعارض العقل والنقل : ١/ ٢٩٥

(٢) انظر : مآلات الخطاب المدني : ص٢٤١

(٣) انظر : المصدر السابق : ص٢٤٤ وما بعدها ، وانظر أيضًا : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص٣٨

الجمهور، تضفي على القائلين بها صفة التعالم؛ وكأن الإنسان لا يغيّر واقعه ولا يثور عليه إلا بهذه الجعبة من الألفاظ[١] .

كما أطال هاشم صالح -وهو الذي تولى ترجمة معظم كتب وبحوث محمد أركون[٢]- في تقرير الإشكال الكبير والصعوبة البالغة في فهم وترجمة كثير من المصطلحات الواردة عند أركون، وأنه لا يزال متردداً في بعضها حتى الآن ! [٣] .

وقد مثَّل أحد الباحثين بثمانية عشر (١٨) مصطلحاً ينطبق عليها وصف الغموض والضبابية[٤] وذكر منها ثلاثة مصطلحات سيأتي تناولها في المبحث الثاني هي : الأنسنة، والإبستمولوجيا، والهرمنيوطيقا .

كما صنع بعض الباحثين في نقد القراءة المعاصرة فهارس للمصطلحات التي شرحوها[٥] .

وتجدر الإشارة إلى أن الغموض الذي يكون في بعض المصطلحات قد يكون مردُّه إلى غموض المصطلح الأصلي- أي عند أصحابه الغربيين- فهناك عدد من المصطلحات التي لا يعرف المراد بها تحديداً حتى عند واضعيها الأصليين[٦]، وربما كان الأمر عائداً إلى عدم الفهم الدقيق للمصطلح المستورد عند مستعمله من أصحاب القراءة المعاصرة، فيقع بسبب ذلك اضطراب في استعماله يؤدي إلى إشكال عند القارئ .

---

(١) انظر : التراث والتجديد لحسن حنفي : ص٤٣

(٢) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص١٧٧ (الحاشية ١)

(٣) انظر : الترجمة والعلوم الإنسانية محمد أركون نموذجاً (في مقدمة ترجمة هاشم صالح لكتاب أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ لأركون) : ص١- ١٧ ، وانظر أيضاً : القراءات المعاصرة للدكتور محمد كالو : ص٦٨

(٤) انظر : القراءات المعاصرة للدكتور محمد كالو : ص٦٧

(٥) انظر مثلًا : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص٤٤٩ ، موقف المدرسة العقلية المعاصرة للدكتور البعداني : ص٢/ ١٠٣٥

(٦) انظر مثلًا في مصطلحي (البنيوية، والتفكيكية) : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص١٣٣، ١٣٨

على أن المصطلحات الخاصة ببعض رموز القراءة المعاصرة قد تكون سبباً مؤدياً إلى الضبابية في تحديد مفهومها، أو الوقوع في تعميم المفهوم على الجميع، كما سيأتي مزيد إيضاح لذلك في المطلب السادس .

المطلب الثاني : الاستيراد والترجمة

شرح أحد أهم الذين قاموا بهذا الأمر، وهو (هاشم صالح) الذي ترجم معظم أعمال محمد أركون، شرح الإشكال الكبير في ترجمة ذلك النوع من الأعمال؛ حيث إن معظم المنهجيات والأفكار (الحديثة) مستوردة من الخارج (الغرب) بشكل أو بآخر، وتلك العلوم الإنسانية بكل مصطلحاتها وتراكيبها نتاج تجربة الغرب الخاصة؛ وأكَّد على ضرورة فهم تلك المصطلحات في لغتها الأصلية فهماً دقيقاً، ثم إيجاد المقابل العربي والإسلامي الدقيق، مع حاجة تلك المصطلحات إلى التحوير والتعديل لكي تتلاءم مع بيئتها الجديدة !! [١].

ثم راح يمثِّل لبعض تلك المصطلحات التي وقع له فيها الإشكال عند ترجمتها ، مثل : الأبستمية، والدوغمائية، والمصطلحات التي على وزن فعلويّ وفعلويّة (كإسلاموي وإسلاموية)، والتفكيك، وبعض المصطلحات الألسنية أو السيميائية (الدلالية) وغيرها[٢] .

ومن الأمثلة على المصطلحات المترجمة عندهم : المصطلحات المنتهية بـــ(لوجي- لوجيا) التي تعني (علم) مثل : الإبستمولوجي- الإبسمولوجيا، الديماغوجي- الديماغوجيا [٣].

---

(١) انظر : الترجمة والعلوم الإنسانية محمد أركون نموذجاً (في مقدمة ترجمة هاشم صالح لكتاب أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ لأركون) : ص٢- ٥

(٢) انظر : المصدر السابق : ص٦- ١٤

(٣) انظر : بدعة إعادة فهم النص : ص٩٩

وهذه السمة لا تحتاج إلى إثبات أو تقرير، فالقراءة في أي منتج لأصحاب القراءات المعاصرة ستواجهك بالحشد الكبير من تلك المصطلحات المستوردة والمترجمة، ويمكن إلقاء نظرة على ما جمعه الدكتور الريسوني في المسرد الخاص بمصطلحات القراءة المعاصرة للقرآن الكريم[١] .

يقول أحد الباحثين في نقد هذه القراءات : «إن المصطلح النقدي الحداثي في الغرب يستمد القدر الأعظم من دلالته من الخلفية الفلسفية الفكرية الغربية التي استمرت عدة قرون ... ولذلك فاستعارة المنظومة الحداثية الغربية بمصطلحاتها ودلالاتها المشحونة بتاريخها الفلسفي، وبتكوينها الاجتماعي والثقافي وإخراجها من دائرتها الدلالية وإسقاطها في بيتنا العربية وعلى تراثنا الإسلامي، وعلى ثقافتنا المغايرة، يسبب كثيراً من اللبس والاضطراب والفوضى والعشوائية» [٢] .

ويعلل بعض أصحاب القراءة المعاصرة لكثرة الاستيراد والترجمة بفقر اللغة العربية في مصطلحات العلوم الإنسانية المنتشرة في الغرب[٣]، وهذا حق من جهة لكنه ليس الحل الصحيح لهذه المشكلة، إذ الأولى توليد مصطلحات من داخل المعجم العربي؛ لتكون متوافقة مع ديننا وثقافتنا الإسلامية شكلاً ومضموناً[٤] .

وهذه السمة تتعلق بالسمة التالية (القطيعة والإحلال) لأن الإحلال إنما يكون عن طريق الاستيراد والترجمة .

---

(١) انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٥٣١

(٢) العلمانيون والقرآن الكريم للدكتور الطعان : ص٧٣٩

(٣) انظر : القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي للشلفي : ص٤١٧

(٤) انظر مقالاً بعنوان : المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة، للدكتور محمد كالو، منشور في ملتقى أهل التفسير على الشبكة، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

المطلب الثالث : القطيعة والإحلال

أصحاب القراءة المعاصرة يجهدون في القطيعة مع كل ما هو إسلامي، ويكثرون من النقد لما يسمونه (التراث) ويدخل فيه كلَّ منتجات علماء الإسلام في شتى العلوم .

ومن طرقهم في ذلك هجر وترك المصطلحات الإسلامية المعروفة (أي القطيعة معها) وإبدالها بمصطلحات جديدة (أي إحلال بدليل عنها) والغالب أن يكون هذا البديل مستورداً ومترجماً عن المصطلحات الغربية، كما سبق ذكره في المطلب السابق .

وللتدليل على هذه الفكرة عند القوم، يحسن الاستشهاد بكلام لحسن حنفي- وهو من رموزهم- حيث يقول تحت عنوان (الخلاف في اللغة) : «يستعمل السلفويون ألفاظاً تقليدية تراثية قديمة ، تأتي من العلوم الإسلامية في لحظة نشأتها وتكوينها وتطورها، واكتمالها في القرون السبعة الأولى دون تطوير أو تغيير أو تبديل أو تحديث في القرون السبعة التالية، لا يفهمها إلا أهل الاختصاص في المعاهد الأزهرية والجامعات الدينية ، والمشايخ والعلماء ورجال الدين، مثل : الإيمان، والكفر، والشرك، وهي ألفاظ تتطلب البحث عن معانيها المتجددة ... أما الخطاب العلماني فإنه يستعمل في المقابل ألفاظاً حديثة، نشأت من الوافد الثقافي الغربي، وإن كانت معانيها في كثير منها لا تختلف عن معاني الألفاظ السلفية» [1] .

إذن هو الهوس بالجديد ولو كان وافداً ثقافياً غربياً، حتى في التعبير عن مصطلحات شرعية إسلامية صرفة كالإيمان والكفر والشرك !! وهذا الإقرار

(١) في الثقافة السياسية لحسن حنفي : ص٢٥٤- ٢٥٦ ، وانظر : القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي للشلفي : ص٤١٧

الصريح من أحد رموزهم ينبئ عن خطورة مسلكهم، وأن ما يقومون به من تحريف واسع للدين الإسلامي يمرُّ عبر تحريف مصطلحاته والقطيعة معها وإحلال مصطلحات غربية جديدة مستوردة ومترجمة[١] .

وفي السياق نفسه يختار أركون مصطلح (الظاهرة القرآنية) بدلاً عن مصطلح (القرآن) بعد تأكيده أنه فعل ذلك عن قصد، ويعلل صنيعه ذلك بقوله:» لأن كلمة (قرآن) مثقلة بالشحنات والمضامين اللاهوتية[٢]، وبالتالي فلا يمكن استخدامها كمصطلح فعَّال من أجل القيام بمراجعة نقدية جذرية لكل التراث الإسلامي»[٣].

ومثله نصر أبو زيد في محاولته استبدال مصطلح (الآيات) بمصطلح (العلامات)[٤] .

المطلب الرابع : التوليد والتناسل

المراد بهذه السمة هو ما يقوم به كثير من أصحاب القراءة المعاصرة من تشقيق للمصطلحات، وجعل المصطلح الواحد مصطلحين أو ثلاثة بعدة طرق .

وتشقيق المصطلحات يمكن ملاحظته بوضوح عند استعراض المسرد الخاص بمصطلحات القراءة المعاصرة للقرآن الكريم الذي صنعه الدكتور

---

(١) انظر : القراءات المعاصرة للدكتور محمد كالو : ص٦٧

(٢) يريد أركون بالشحنات والمضامين اللاهوتية : ما يثيره مصطلح (القرآن) في نفس المسلم من هيبة ورهبة وخشوع، تحمله على صيانة مقدساته وصدِّ العابثين عنها، انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٢٣٦ ، وانظر أيضاً : موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور البعداني : ١/ ٢٥٢- ٢٥٤

(٣) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل : ص١٩٩ ، وانظر أيضاً : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٢٢٧- ٢٣٦

(٤) انظر : النص السلطة الحقيقة لنصر أبو زيد : ص٢٤٢- ٢٤٣ ، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٢٧١ ، ولا إشكال في أن الآية في اللغة تأتي بمعنى العلامة، لكن الاعتراض على تغييره للمصطلح المشهور .

الريسوني[١] ؛ حيث تجد كثيراً من المصطلحات المتوالدة والمتناسلة من أصل واحد- وتكون متفقة المعنى عند بعضهم ومختلفة عند آخرين- ومنها مثلاً : مصطلحات : (التاريخية، والأرخنة، والتاريخانية، والتاريخوية) وكذلك : (البنية، والبنيوية، والبين نص) وكذلك (العقلانية، والعقلنة) .

ومما يلتحق بذلك أيضاً : إضافة وصف على المصطلح الأصلي، وهذا كثير عندهم، مثل مصطلحات : (الإسلام ، والقارئ أو القراءة، والوحي) حيث أضيف لكل منها أكثر من عشرة أوصاف، مثل : (الإسلام) ستجد من الأوصاف التي ألحقت به : الإسلام الإثني، الإسلام الشعبي، الإسلام الكلاسيكي، الإسلام الوعظي، الإسلام الدوغمائي، الإسلام الأرثوذكسي ... إلخ[٢] .

وقريب من ذلك : الجمع بين مصطلحين في مصطلح واحد، كما في المثال الأخير؛ حيث جمع بين الإسلام وكل من : الإثنية، والدوغمائية، والأرثوذكسية .

ويشبه ذلك أيضاً النحت، أي نحت مصطلح واحد من مصطلحين، مثل : العقل والإيمان = العقليمانية، ومثل : الزمان والمكان= الزمكان، والماركسية والإسلام = الماركسلامية[٣] .

وكما هو الهدف من التوليد والتناسل في الكائنات الحية فهو كذلك عند أصحاب القراءة المعاصرة في توليد مصطلحاتهم وتناسلها، وهو تكثير عددها ومضاعفة آثارها على القارئ، التي منها زيادة الغموض والضبابية، وتكثيف الصعوبة والإغلاق في تبيّن المراد من الكلام لدى المتلقِّي .

المطلب الخامس : الحداثة والتجدد

لا شك أن للجديد سحراً ليس للمعروف المكرور، ولمصطلحي التجديد

(١) انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٥٣١

(٢) انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٥٣١

(٣) انظر : القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي للشلفي : ص٤١٨

والحداثة حضور دلالي وفكري لا يخفى، وسيأتي الإشارة لشيء من ذلك عند ذكر هذين المصطلحين في المبحث التالي .

وقد سبق- في المطلب الثالث- الاستشهاد بكلام أحد رموز القراءة المعاصرة يدل على تقصدهم لذلك، ومنه قوله : « أما الخطاب العلماني فإنه يستعمل في المقابل ألفاظاً حديثة، نشأت من الوافد الثقافي الغربي، وإن كانت معانيها في كثير منها لا تختلف عن معاني الألفاظ السلفية» (١) .

ولما كانت أفكار هؤلاء ومناهجهم مستوردة ومنقولة عن الفكر الغربي (الحديث) ؛ فبالضرورة ستكون مصطلحاتهم كذلك، فهو فكر وافد على الثقافة الإسلامية بمصطلحاته ومضامينه، وألفاظه ومعانيه .

وهذا التجديد والتحديث في المصطلحات يتشابك ويتعاضد مع سمات أخرى كانت كالوسيلة له : كالاستيراد والترجمة، والتوليد والتناسل، والقطيعة والإحلال .

المطلب السادس : الخصوصية والفردية

المقصود بهذه السمة : اختصاص فئة أو فرد من أصحاب القراءة المعاصرة بمصطلحات تكثر عنده أكثر من غيره، أو لا يستعملها غيره .

وفي ذلك يقول أحد الباحثين : «تتعدد أساليب القراء المعاصرين (كغيرهم) في استخدام المفردات تبعاً لتخصصاتهم، فالذي يكتب بخلفية فلسفية يكثر من استخدام مصطلحات فلسفية، والذي يكتب بخلفية أدبية يصبغ كتاباته بمصطلحات الأدب المعاصر، وهكذا»(٢) .

ويقول باحث آخر : «وهذا ما نعيشه اليوم بالفعل؛ حيث ذهب كل باحث يترجم ويستورد ويصطلح لنفسه؛ حتى أصبحت أزمة الفكر اليوم أزمة مصطلحات،

(١) في الثقافة السياسية لحسن حنفي : ص٢٥٤- ٢٥٦

(٢) القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي للشلفي : ص٤١٧

والحوار لم يعد مجدياً؛ لأن كل المفكرين يتحدثون بلغات مختلفة، وبمصطلحات متباينة، فلم يعد بإمكان الباحث أن يتواصل مع غيره بالطريقة المجدية، لأن المصطلحات غير مضبوطة المعاني، وتحتمل المعنى ونقيضه، فليس بإمكان أحد أن يلزم أحداً شيئاً لأنه سيقول مباشرة : أنا لا أقصد هذا المعنى !!» [١] .

ومن أشهر الأمثلة على هذه السمة : المصطلحات التي على وزن (فعلوي وفعلوية) في مقابل (فعلي وفعلية) وأكثر مَن يستعمل هذه الطريقة اثنان : محمد أركون وطيب تيزيني، فهما يجعلان : إسلاموي، في مقابل (عكس) إسلامي، أي : الإسلاموي هو الذي يمثِّل الإسلام المتطرِّف، والإسلامي يمثِّل الإسلام المعتدل، وعقلانوي مقابل عقلاني، وهكذا، وهي طريقة توجد عند غيرهما من أصحاب القراءة المعاصرة، لكن بدرجة أقل[٢] .

وهم يزعمون أنهم لجؤوا إلى هذا الصنيع لأجل الدقة في المصطلحات، والحقيقة أنها مجرَّد ترجمة لظواهر لغوية (اصطلاحية) في بعض اللغات الأجنبية[٣] .

المطلب السابع : المنافرة للعربية

تنضح المصطلحات القرائية المعاصرة بصور شتى من منافرة العربية أفصح اللُّغى[٤]، وهي منافرة مقصودة، لإبعاد المسلمين عن مصادر دينهم (القرآن والسنة) وعن كتب أسلافهم وعلمائهم، والقطيعة مع ذلك كله، ليسهل بعد ذلك إحلال البديل من الوافد الهجين؛ فتكتمل المعادلة الظالمة شكلاً ومضموناً والله المستعان .

---

(١) العلمانيون والقرآن الكريم للدكتور الطعان : ص٧٣٩- ٧٤٠

(٢) انظر : الترجمة والعلوم الإنسانية محمد أركون نموذجاً (في مقدمة ترجمة هاشم صالح لكتاب أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ لأركون) : ص١١ ، العلمانيون والقرآن الكريم للدكتور الطعان : ص١٨٣- ١٨٥

(٣) انظر : المصدرين السابقين .

(٤) هذا التعبير مقتبس من عنوان رسالة الشيخ بكر أبوزيد : المواضعة والاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللُّغى، وذكر أن (اللُّغى) جمع (لغة) وهو أحد جموعها، كما تجمع على لغات، ولغون ، انظر: فقه النوازل : ١/ ١٠٦

وقد صرَّح بعضهم بأن العودة إلى قواميس اللغة العربية تحنيط للِّسان وعقبة أمام التحديث، تعرقل المفاهيم الجديدة التي يجب أن تسود بعد زحزحة المفاهيم القديمة[١] .

وقد سبق في المطلبين : الثاني (الاستيراد والترجمة) والرابع (التوليد والتناسل) ذكر صور عديدة لتلك المنافرة[٢]، ومما لم يذكر سابقًا : قيام بعضهم باشتقاق مصادر عربية من أصول غير عربية؛ كاشتقاق مصدر (سستمة) من الكلمة الإنجليزية (*system*) ومعناها (نظام)[٣] .

ومن الأمثلة الطريفة في هذه السمة : ما صنعه الأستاذ يوسف الصيداوي حين ألَّف كتابًا في نقد كتاب (الكتاب والقرآن- قراءة معاصرة) لمحمد شحرور، من الناحية اللغوية فقط، جعل عنوانه (بيضة الديك) ويقع في (٢٦٤ ص) ذكر في مقدمته أنه عنونه بذلك العنوان الساخر[٤] لأنهم كانوا يزعمون أن الديك يبيض مرة واحدة في حياته، وكذلك المؤلف (يعني شحرور) لم يقل صوابًا في كتابه غير العبارة الأولى منه فقط !!

ويجب التأكيد على أنه لا يعفيهم من المسؤولية اعتذار أحدهم بفقر اللغة العربية في مصطلحات العلوم الإنسانية المنتشرة في الغرب[٥]، إذ الأولى توليد مصطلحات من داخل المعجم العربي؛ لتكون متوافقة مع ديننا وثقافتنا الإسلامية شكلاً ومضمونًا[٦] - كما سبق - .

---

(١) انظر : القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي للشلفي : ص٤١٦

(٢) انظر أيضًا : بدعة إعادة فهم النص : ص٩٨- ٩٩

(٣) انظر : القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي للشلفي : ص٤١٨

(٤) انظر : بيضة الديك : ص١٠ ، ووصف العنوان بالساخر من عندي وليست من المؤلف !!

(٥) انظر : القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي للشلفي : ص٤١٧

(٦) انظر مقالًا بعنوان : المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة، للدكتور محمد كالو، منشور في ملتقى أهل التفسير على الشبكة، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

المبحث الثاني
نماذج للمصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة

سبق في حدود البحث- في المقدمة- الإشارة إلى أن النماذج الخمسة عشر من المصطلحات التي ستُذكر في هذا المبحث تُوُخِّي في اختيارها النظرُ لاعتبارين:

١- تحقق بعض السمات المذكورة في المبحث الأول؛ لتكون أمثلة تطبيقية تجلِّي المقصود أكثر.

٢- مركزية المصطلح المختار وأهميته، وكثرة تداوله عند أصحاب القراءة المعاصرة، ودلالته على فكرة محورية في أطروحاتهم.

ومن جهة تقسيم المصطلحات على المطالب؛ فإنني تحرَّيت جمع المصطلحات المتقاربة في المضمون أو في السمة اللفظية في مطلب واحد.

المطلب الأول: القراءة والتأويل وإعادة الفهم

يطلق أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن مصطلح (القراءة) ويريدون به معنى خاصاً يكون للقارئ فيه دور في إنتاج المعنى، وإذا وصفوه بالمعاصرة، أو الجديدة، أو الحديثة، ثم أضافوه إلى القرآن أو النص الديني - كما يسمونه- فيكون مرادهم بهذا المصطلح المركَّب (القراءة المعاصرة للقرآن) حينئذٍ هو: «تفسير وتأويل القرآن الكريم وفق المناهج الغربية الحديثة في تحليل ودراسة النصوص»[(١)].

ويلحظ في التعريف السابق ذكر مصطلح التأويل في أوله، أي أن القراءة

(١) انظر: القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، للدكتور محمد كالو: ص٥٣- ٥٦، القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي للشلفي: ص٣١- ٣٥

والتأويل هما مصطلحان - عند أصحاب القراءة المعاصرة- بمعنى واحد، ويحملان المدلول نفسه[١] .

الجدير بالذكر هنا أن أصحاب القراءة المعاصرة يرفضون مصطلح (التفسير) ويقدِّمون عليه مصطلح (التأويل) لأن كلمة (تفسير) -كما يقولون- في أصل استخدامها تعني الواضح البين، وهي بهذا المعنى لا تعكس المعنى المقصود من حركة الذهن المعرفية إزاء موضوع المعرفة، وهو المعنى الذي تدل عليه كلمة (تأويل)[٢] .

ويقول أحد الباحثين تعقيباً على ذلك : «التفسير يرمي فقط إلى الكشف عن مراد قائل النص ومعنى الخطاب وهو ما لا يكتفي به الخطاب العلماني، لأنه يطمح إلى أكثر من ذلك، إلى انتهاك النص عن طريق التأويل، لأن التأويل صرف اللفظ إلى معنى يحتمله، بل يطمح إلى أكثر من ذلك، إلى التفكيك الذي يقطع الصلة بين النص وقائله وبين المعنى واحتمالاته»[٣] ، أي أنهم هربوا من الصرامة في مصطلح (التفسير) إلى المرونة في مصطلح (التأويل) ليتخذوا منه قنطرة للوصول إلى فوضى منهج (التفكيك) وغيره من المناهج الغربية الحديثة التي ليس لها ضوابط واضحة[٤] .

أما (إعادة الفهم) فهو مصطلح مرادف للقراءة الجديدة او المعاصرة تماماً؛ لأن الإعادة هنا بمعنى ترك الفهم السابق (وهو فهم علماء المسلمين السابقين) واستبدالها بفهم (قراءة- تأويل) جديد معاصر![٥] .

---

(١) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص٣٣- ٣٤

(٢) انظر : العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ص٤٢١

(٣) العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ص٤٢١

(٤) انظر : المصدر السابق، ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص٣٣- ٣٤

(٥) انظر : بدعة إعادة فهم النص : ص١٥

المطلب الثاني : الهرمنيوطيقا والإبستمولوجيا

تعـرَّف (الهرمنيوطيقـا) بأنهـا «فـن تأويل النصـوص» ، وأصل إطـلاق هذا المصطلح وأكثر اسـتعمالاته متعلق بتأويل النصوص المقدسة الإلهية، ثم توسَّع مفهومه ليشمل جميع النصوص، بما فيها النصوص البشرية[١].

وإطـلاق هذا المصطلح عنـد أصحاب القـراءة المعاصرة يـأتي غالبـًا بمعنى المصطلحات الثلاثة (القراءة، والتأويل، وإعادة الفهم) السابق ذكرها في المطلب السابق .

إذن هـو مصطلـح رابع بمعنى قريـب، لكنه ليس الأخير، بـل يوجد غيره من المصطلحات، مثل : المقارَبة، أو التفكيك[٢] .

لكن مصطلح (الهرمنيوطيقا) بسـبب نشـأته في أحضان الدراسات النصرانية اللاهوتية لدراسـة الكتاب المقدَّس لديهم؛ يكتسـب دلالة معينة من هذه الجهة، تعطيه بعداً عقائديـًا غربيـًا، ثم بعداً فكريـًا غربيـًا عامـًا، بخلاف مصطلح (التأويل) ذي الأصـل والدلالة الإسـلامية الظاهرة، ولذلك يفضلـه بعضهم على مصطلح (الهرمنيوطيقـا) لذلـك، وبعضهـم يفضل مصطلـح (القراءة) لكونـه محايداً من الناحية المصطلحية من حيث الأصل.

أمـا مصطلح (الإبسـتمولوجيا) فهو يعني : الدراسـة النقديـة للعلوم الدقيقة والإنسـانية، وهو أيضـًا : فرع من الفلسـفة يعنى بدراسـة تاريخ العلوم ومناهجها ومبادئهـا وعلاقاتها المتداخلة، ويعرَّب أحيانـًا بمصطلحات أخرى مثل (فلسـفة العلوم) و (نظرية المعرفة)[٣] .

---

(١) انظـر : العلمانيـون والقرآن : ص٦٧٥ وما بعدها ، ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السـيف : ص٣٤ ، ٧٣ وما بعدها، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٢٥٦ وما بعدها .

(٢) انظر : المصادر السابقة .

(٣) انظر : الإبستمولوجيا التكوينية للعلوم للدكتور طعمة : ص١٣ ، المعجم الفلسفي : ١/ ٣٣

وهو أيضـاً مصطلح نشـأ وترعرع في الفكر الفلسـفي الغربي، ثم تمَّ اسـتيراده ومحاولة تطبيقه على الدراسـات الإسـلامية، والتراث الإسـلامي من قِبل هؤلاء وأساتذتهم المستشرقين قبلهم .

وقـد جمعت بين هذيـن المصطلحين في هذا المطلب- مـع اختلاف المراد بكل منهما- لظهور الأصل غير العربي فيهما ظهوراً جليـاً، حيث تم اسـتيرادهما كما هما دون تغيير أو تعريب !!

المطلب الثالث : الحداثة والمعاصرة والتجديد

هـذه المصطلحات متقاربة المعنى، ولا تأتي غالبـاً مسـتقلة عن غيرها، وإنما تكون وصفـاً متمِّمـاً لما قبلها، مثل قولهم : قراءة معاصرة، أو جديدة، أو حديثة، أو تأويل حداثي، ونحو ذلك .

فمصطلـح الحداثة مثـلاً يدور مفهومه عند أصحابه علـى معنى نبذ كلِّ قديم ثابت، بما في ذلك القيم والشرائع والعقائد، ورفض السائد والمألوف، وهو اتجاه فكري غربي نشأ مع النهضة الأوروبية الحديثة، والثورة على الكنيسة وسلطلتها، والتقاليد والموروثات المتجذِّرة في العالم الغربي حينذاك[١] .

أمـا المعاصـرة أو العصرانية فهما مصطلحان يحمـلان مفهومـاً متقاربـاً عند الأغلـب، ويطلق علـى أي على الاعتقاد بـأن التقدم العلمـي والثقافة المعاصرة يسـتلزمان إعـادة تأويل التعاليـم الدينية التقليديـة على ضوء المفاهيم الفلسـفية والعلمية الحديثة، وهو أيضـاً مصطلح وافد أطلق على بعض الحركات التحررية داخل الكنيسة أواخر القرن التاسع عشر[٢] .

وأمـا مصطلح (التجديـد) فهو يختلف عـن المصطلحين السـابقين في كونه

(١) انظر : الموسوعة الميسرة : ٨٧٧ وما بعدها، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٤٢٣

(٢) انظر : مفهوم تجديد الدين : ص٩٨

مصطلحـاً حاضـراً في الثقافة الإسـلامية بمعنى (تجديد الإحيـاء والإعادة) لكنه في الآونـة الأخيرة تمَّ اختطافـه وتحوير مراده إلى (تجديـد الإحداث والتحريف والابتداع) أي بمفهوم مقارب للمصطلحين السابقين (الحداثة، والمعاصرة)[١] .

على أن بعض الباحثين الناقدين لهذا الاتجاه يفرِّق بين مصطلحي (المعاصرة أو العصريـة أو الجديدة) ومصطلح (العصرانيـة) لأن الأولين وصفان محايدان، بخلاف الثاني الذي يدلُّ على التوجه المنحرف لأصحابه[٢].

وفي مقابل هذه الأوصاف التي تحملها هذه المصطلحات يتمُّ إطلاق أوصاف عكسـية علـى ما يضادها، مثـل : التقليديـة، والتراثية، والإحيائيـة، فيقولون مثلاً (القراءة التقليدية) أو (الفهم التراثي) ونحو ذلك[٣] .

المطلب الرابع : الخطاب والنص والتراث

يفرق أصحاب القراءة المعاصرة بين مصطلحي (الخطاب) و (النص) قياسـاً علـى الفرق بين مصطلحـي (القرآن) و(المصحـف) أي أن القرآن هو الخطاب، والمصحـف هـو النص، بمعنى أن القـرآن كان (خطابـاً) في المرحلة الأولية من تبليـغ النبي ﷺ له شـفهيـاً، فلما جـرى تدوين وكتابة ذلك الخطـاب المنزل فيما بعد- في عهد الصحابة- أصبح (نصـاً) .

ومقصودهم من هذا التفريق الوصول لعدَّة أمور أهمها : أن (النص) المكتوب لا يحتوي على كلِّ ما جاء في (الخطاب) الشـفهي، أي أن هناك أشـياء فقدت بين المرحلتين، قياسـاً على ما حصل للكتاب المقـدَّس عند النصارى، مما يبين عن

---

(١) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص١٦٦ وما بعدها، مآلات الخطاب المدني : ص٣١٦ وما بعدها، مفهوم تجديد الدين : ص١٢٠ وما بعدها .

(٢) انظر : قراءة في ضوابط التأويل للدكتورة رقية العلواني : ص٢٠ ، وانظر : المصدر التالي .

(٣) انظـر : مقالاً بعنـوان (المحددات الرئيسـة للقراءات الحداثيـة للقرآن) لطارق حجـي، في موقع مركز تفسير على الشبكة .

الأصل العقدي والفكري لمثل هذه المصطلحات الناشئة في البيئة الغربية[١] .

أمـا مصطلح (التراث) فهو كمعظـم مصطلحاتهم غير محدد المفهوم تمامـاً، حيث يراد به عند أصحاب مشـاريع إعادة قراءة التراث : الفكر الديني وما يتصل به من تاريخ، وهو بذلك لا يفصل بشكل واضح بين الدين أو النص الديني الذي يأخذ صفة الإلهية، وبين اشتغالات الإنسان (أهل العلم) المتعلقة به والناتجة عنه في العصور السابقة، التي هي جهود بشرية تحتمل الخطأ والصواب[٢] .

وهـذا الخلط أو التسـوية بيـن الدين، والتراث الإنسـاني المتعلق به، تسـوية مقصـودة يصرحون بها أحيانـاً بحجة أنه لا انفـكاك بين الأمرين عند إرادة تجديد التراث، أو لا يصرِّحون به حتى لا يقطعوا على أنفسهم حيلة المناورة التي يتقنونها جيداً، خصوصـاً في المصطلحات والمفاهيم .

المطلب الخامس : التاريخية والتاريخانية

مصطلح (التاريخية) بالنسـبة للقرآن يعني عنـد أصحاب القراءة المعاصرة : ارتباط النص القرآني بواقعه وظروفه التي نزل فيها، سواء من جهة الزمان أو المكان أو حال المخاطبين، أي : «ربطه بالبيئة الجغرافية والطبيعية والبشرية القبائلية لشبه الجزيرة العربية في القرن السـابع الميلادي» كما يشـرحه هاشـم صالح[٣] مترجم كتب محمد أركون وهـو أحد رموزهم، والقول بتاريخية القرآن يعني تغير دلالته وفهمه بتغير تلك المعطيات الزمانية والمكانية وحال المخاطبين[٤] .

---

(١) انظر : العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ٤٥٦ وما بعدها .

(٢) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص١٦٩ وما بعدها .

(٣) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني : ص٢١

(٤) انظـر : العلمانيـون والقرآن للدكتور الطعان : ٣٣٢ وما بعدها، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٢٠٩ وما بعدها، ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص١٦٦ وما بعدها .

ونظرية (تاريخية النص) من أهم النظريات الحديثة وأكثرها شيوعاً لدى أصحاب القراءة المعاصرة في أطروحاتهم التأويلية للنص القرآني خصوصاً، وللتراث الإسلامي عموماً[١] .

ومحمد أركون- كعادته- يصطلح لنفسه التفريق بين مصطلحات : (التاريخية، والأرخنة، والتورخة) وهي بالمعنى السابق ذكره، ويقابلها عنده (التاريخانية، والتاريخوية) ويدلان لديه على المعنى المضاد للأول- أي المعنى السلبي- وهو النظرة المتطرفة في دراسة التاريخ- في نظره- [٢].

وهذا التفريق بين المصطلحات المتقاربة في الصيغة من إبداعات أركون نفسه للوصول إلى الدقة في المصطلحات كما يزعم، وقد سبق الإشارة لذلك في المطلب السادس من المبحث الأول المتعلق بسمات المصطلحات، في سمة (الخصوصية والفردية) .

المطلب السادس : الأنسنة والألسنة

يعتبر محمد أركون أول من سكَّ مصطلح (الأنسنة) - بحسب ما يراه مترجم كتبه هاشم صالح- وأنه أول من نقله عن الفكر الغربي إلى فضاء الفكر العربي المعاصر[٣]، وهو مشتق من (الإنسان) ويعني : إنكار أي معرفة من خارج الإنسان كالدين أو الوحي، والوحي نفسه لابد من القول بتحوله من إلهي إلى إنساني، لأن الإنسان هو محور الكون ومركزه[٤] ، وهو مفهوم فلسفي غربي مرتبط بصراع

(١) انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٢٠٩ ، ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص٢٤٨

(٢) انظر : الترجمة والعلوم الإنسانية محمد أركون نموذجاً (في مقدمة ترجمة هاشم صالح لكتاب أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ لأركون) : ص١١ ، العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ٢٩٩- ٣٠٢

(٣) انظر : المصدر السابق : ص٢٥٢ ، دليل الناقد الأدبي : ص٥٨

(٤) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص٢٥٢ وما بعدها، العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ٥٠٦ وما بعدها .

العلم (علم الإنسان ومكتشفاته الحديثة) مع سلطة الكنيسة الأوربية في بدايات عصر النهضة هناك، ثم تطورت إلى كثير من الفلسفات الإلحادية، التي تنكر وجود الخالق سبحانه، وتؤلِّه الإنسان نفسه[١] .

أما مصطلح (الألسنة) فهو نسبة إلى علم (اللسانيات- الألسنيات) الحديث، وهو العلم الذي يدرس اللغة البشرية، من أجل اكتشاف القوانين والأحكام العامة المشتركة بين البشر، في جانبها اللغوي، ويقوم على اعتبار اللغة مجموعة من العلامات التي ارتضاها المجتمع؛ حتى يتيح للأفراد التخاطب[٢] .

وعلم اللسانيات الحديث تطوَّر في القرن العشرين على يد عدد من علماء اللغة الغربيين، وهو عنوان عريض يندرج تحته عناوين فرعية تتعلق بالنص، والدلالة، والصوتيات، وغيرها من الأبحاث اللغوية الحديثة[٣] .

وقد اعتمد أصحاب القراءة المعاصرة على بعض أبحاث هذا العلم الحديثة في قراءتهم التأويلية للقرآن، وخصوصاً الأبحاث المتعلقة بالدلالة (الدال والمدلول بدلاً عن اللفظ والمعنى- واللغة بوصفها حراكاً اجتماعياً- النظرية التزامنية للغة) لكونها تخدم أغراضهم التأويلية، وخصوصاً نظرية (تاريخية النص) التي سبقت الإشارة إليها في المطلب الرابع[٤] .

***

(١) انظر : دليل الناقد الأدبي : ص٤٩ ، وقد أطلق على هذا المفهوم ذاته مصطلح (الإنسانوية) ، وانظر : العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ص٦٠٢- ٦٠٣

(٢) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص١١٧ ، العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ص٦٨٤

(٣) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص١١٧

(٤) انظر : المصدر السابق : ص١١٩- ١٢٣

الخـاتمة

وبعـد هـذا التطواف السـريع علـى أبـرز السـمات لمصطلحـات أصحاب القـراءة المعاصـرة للقرآن، والاقتراب مـن مفاهيم ودلالات نمـاذج بارزة لتلك المصطلحات، يمكن تسجيل بعض ما تبيَّن لي من نتائج :

١- خطـورة المصطلحات الوافدة على الثقافة الإسـلامية لا تقتصر على الجانب اللفظي اللغوي البحت من ناحية الترجمة وتشـويه الذائقة العربية وإفسـادها، بـل تتعداه إلى أعمق من ذلك؛ من خلال تسـرُّب المضمـون الفكري الغربي النصـراني منه أو العلماني الملحد، بشـكل معلَّب لا يظهـر لكثير من القراء ما يحويه من سمٍّ زعاف في جلد أملس .

٢- الغمـوض والضبابيـة هـي السـمة الغالبـة علـى معظـم السـمات الأخـرى لمصطلحـات أصحاب القـراءة المعاصـرة، كونها سـببًا لبعضهـا، أو نتيجة لبعضها الآخر .

٣- أصحاب القراءة المعاصرة ورموزها ليسـوا سـوى مترجميـن ونقلة للأفكار الغربيـة بحذافيرهـا، بمـا في ذلك مصطلحـات القوم وألفاظهـم الخاصة بهم وبخلفياتهـم الفكريـة والدينية والاجتماعية، ولم يتجشـموا العنـاء في تنقيتها وأخذ ما يناسب ديننا وثقافتنا وطرح ما عداه ، بل ربما كان بعضهم غربيـًا أكثر من الغربيين أنفسهم في حماسته واندفاعه، والله المستعان !!

وأما أهم توصيات هذا البحث فأمران :

١- أهميـة تكثيف التوعيـة بخطورة المصطلحـات الوافدة، وبيان مـا تحويه من مفاهيـم منحرفة، وتبسـيط ذلك ونشـره في أوسـاط المثقفين، وعمـوم القراء

والمتلقين، والتنبيه على أن ذلك جزء من الغزو الفكري للأمة الإسلامية وشبابها، وهو ما يمكن تسميته بـ (حرب المصطلحات) .

٢- العمل على تحقيق المشروع الذي بذر نواته الدكتور قطب الريسوني[١] في المسرد الذي صنعه لمصطلحات القراءة المعاصرة للقرآن الكريم (سرد فيه ١٦٣ مصطلحاً، مجرَّد سرد فقط) لكنه أشار إلى أن مشروع المعجم هذا يرمي إلى بيان دلالات تلك المصطلحات، واستجلاء أبعادها المضمرة، مع توثيق مواطن ورودها في المصادر والأبحاث المعاصرة .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* * *

(١) انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص٥٣١- ٥٣٧

المصادر والمراجع

١- أين هو الفكر الإسلامي المعاصر- من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، لمحمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي- بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٥م .

٢- بدعة إعادة فهم النص، محمد بن صالح المنجد، ساهم في إعداده الفريق العلمي بمجموعة زاد، قدم له فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، مجموعة زاد للنشر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .

٣- بيضة الديك- نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن، ليوسف الصيداوي، المطبعة التعاونية، دمشق.

٤- التراث والتجديد- موقفنا من التراث القديم، للدكتور حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت لبنان، ط٤ ، ١٤١٢ه- ١٩٩٢م .

٥- التقييد والإيضاح لقولهم (لا مشاحة في الاصطلاح) ، بقلم أبي عبدالرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى، منشور مصوراً على الشبكة، قام بنشره : أبو مهند النجدي .

٦- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م .

٧- دليل الناقد الأدبي، للدكتور ميجان الرويلي والدكتور سعد البازعي، المركز الثقافي العربي- المغرب، ط٣ ، عام ٢٠٠٢م .

٨- ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر- دراسة نقدية إسلامية، د. خالد بن عبد العزيز السيف، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .

٩- العلمانيون والقرآن الكريم - تاريخية النص، لأحمد بن إدريس الطعان، دار ابن حزم في الرياض، ط١ ، عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
١٠- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل- نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، لمحمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقي- بيروت لبنان، ط١/ ١٩٩٩م .
١١- في الثقافة السياسية- آراء حول أزمة الفكر والممارسة في الوطن العربي، للدكتور حسن حنفي، منشورات دار علاء الدين- دمشق سوريا، ط١، ١٩٩٨م .
١٢- القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، لمحمد محمود كالو، دار اليمان بسوريا، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
١٣- القراءات المعاصرة والفقه الإسلامي- مقدمات في الخطاب والمنهج، لعبد الولي بن عبد الواحد الشلفي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١ ، بيروت ، ٢٠١٣م .
١٤- قراءة في ضوابط التأويل وأبعاده المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة، لرقية طه جابر العلواني، ندوة (دراسة التطورات الحديثة في الدراسات القرآنية المعاصرة) بيروت- لبنان، ٢٠٠٦م .
١٥- مآلات الخطاب المدني، لإبراهيم بن عمر السكران، مركز الفكر المعاصر، ط١، ١٤٣٥ .
١٦- المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، للهيثم زعفان، مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية- القاهرة، ط١ ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م .
١٧- المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م .
١٨- مفهوم تجديد الدين، لبسطامي محمد سعيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط٣، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م .

١٩- المواضعة في الاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغى- دراسة ونقد (ضمن مجموع فقه النوازل- قضايا فقهية معاصرة) ، لبكر بن عبدالله أبو زيد، مؤسسة الرسالة- بيروت لبنان، ط١، ١٤١٦ه- ١٩٩٦م .
٢٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف الدكتور مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر- الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ .
٢١- موقع المكتبة العلمية على شبكة المعلومات (الإنترنت) .
٢٢- موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية على شبكة المعلومات (الإنترنت).
٢٣- موقع ملتقى أهل التفسير على شبكة المعلومات (الإنترنت) .
٢٤- موقع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) على شبكة المعلومات (الإنترنت) .
٢٥- موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير- دراسة نقدية، لمحمود بن علي بن أحمد البعداني، مركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض، ط١، عام ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م .
٢٦- النص السلطة الحقيقة- الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، للدكتور نصر حامد أبوزيد، المركز الثقافي العربي، ط١ ، ١٩٩٥م .
٢٧- النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، لقطب الريسوني منشورات وزارة الأوقاف المغربية، عام ٢٠١٠ م .

***